عنوان المحاضرة

لهجات القبائل العربية في القرآن الكريم.

إن لسان العرب أوسع ألسنة الأمم قاطبة؛ والقرآن الكريم نزل بلسانهم خاصة، بيد أنه قد يوافق بعضُ ألفاظ اللغات الأخرى لغةَ العرب، ومع ذلك يبقى الأصل والجنس عربيا لا يشوبه شيء.

و لم يترل القرآن الكريم بلسان قبيلة عربية واحدة نزولا محضا – وإن كان غالبه قد نزل بلسان قريش– بل نزلت ألفاظ قرآنية توافق لهجات قبائل عربية أخرى؛ ولعل هذا من مظاهر التخفيف على هذه الأمة ورفع الحرج عنها.

وهذه المحاضرة يعنى بها التعريف باللهجة واللغة والعلاقة بينهما، والوقوف على أشهر لهجات القبائل العربية التي وافق نزول بعض الألفاظ القرآنية لسانها.

أولا: تعريف اللهجة واللغة والعلاقة بينهما.

1: تعريف اللهجة لغة واصطلاحا.

تعريف اللهجة لغة.

جاء في معجم مقاييس اللغة أن: " (لَهَجَ) اللَّامُ وَالْهَاءُ وَالْجِيمُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى الْمُثَابَرَةِ عَلَى الشَّيْءِ وَمُلَازَمَتِهِ، وَأَصْلٌ آخَرُ يَدُلُّ عَلَى اخْتِلَاطٍ فِي أَمْرٍ... وَقَوْلُهُمْ: هُوَ فَصِيحُ اللَّهْجَةِ وَاللَّهَجَةِ: اللِّسَانُ، بِمَا يَنْطِقُ بِهِ مِنَ الْكَلَامِ. وَسُمِّيَتْ لَهْجَةً لِأَنَّ كُلًّا يَلْهَجُ بِلُغَتِهِ وَكَلَامِهِ "[1].

وورد في لسان العرب أن: " اللَّهْجَةُ واللَّهَجَةُ: طَرَفُ اللِّسان؛ واللَّهْجةُ واللَّهَجةُ: جَرْسُ الكلامِ، والفتحُ أَعلى؛ وَيُقَالُ: فُلَانٌ فصيحُ اللَّهْجَةِ واللَّهَجةِ، وَهِيَ لُغَتُهُ الَّتِي جُبِلَ عَلَيْهَا فاعتادَها ونشأَ عَلَيْهَا. وعن الْجَوْهَرِيُّ: لَهِجَ، بِالْكَسْرِ، بِهِ يَلْهَجُ لَهَجاً إِذا أُغْرِيَ بِهِ فَثابرَ عَلَيْهِ. واللَّهْجةُ: اللِّسَانُ، وَقَدْ يُحَرَّكُ "[2].

---

[1]: مقاييس اللغة – ابن فارس – مادة (ل هـ ج) – ج: 5 – ص: 214.

[2]: لسان العرب – ابن منظور – مادة (ل هـ ج) – ج: 02 – ص: 359.

مما سبق يمكن القول أن من المعاني اللغوية للفظ اللهجة: اللغة التي فطر عليها لسان الرجل واعتادها.

تعريف اللهجة اصطلاحا.

- **تعريفها عند القدامي.**

من المعلوم أنّ علماءنا القدماء لم يستعملوا مصطلح (اللّهجة) على النّحو الّذي نعرفه اليوم، بل إنّهم لم يستعملوه قطّ في كتبهم، وإنّما كانوا يُطلقون على اللّهجة (لغة) أو (لغية)[1].

- **تعريفها عند المحدثين.**

اللّهجة في الاصطلاح العلمي الحديث هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصّة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة. وبيئة اللّهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضمّ عدّة لهجات، لكلّ منها خصائصها، ولكنّها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية الّتي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث، فَهْمًا يتوقف على قدر الرّابطة الّتي تربط بين هذه اللهجات.[2]

2: تعريف اللغة لغة واصطلاحا.

تعريف اللغة لغة.

جاء في معجم مقاييس اللغة أن: " (**لَغَوَ**) اللَّامُ وَالْغَيْنُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى الشَّيْءِ لَا يُعْتَدُّ بِهِ، وَالْآخَرُ عَلَى اللَّهَجِ بِالشَّيْءِ، فَالْأَوَّلُ اللَّغْوُ: مَا لَا يُعْتَدُّ بِهِ مِنْ أَوْلَادِ الْإِبِلِ فِي الدِّيَةِ... وَالثَّانِي قَوْلُهُمْ: لَغِيَ بِالْأَمْرِ، إِذَا لَهِجَ بِهِ. وَيُقَالُ إِنَّ اشْتِقَاقَ اللُّغَةِ مِنْهُ، أَيْ يَلْهَجُ صَاحِبُهَا بِهَا "[3].

---

[1]: يُنظر: فقه اللّغة في كتب العربيّة – عبده الرّاجحي – دار النهضة العربية للطباعة والنشر– بيروت– د.ط – د.ت – ص: 110و 111.

[2]: في اللّهجات العربيّة – إبراهيم أنيس – القاهرة – مكتبة الأنجلو مصرية – ط.8– 1992م – ص11.

[3]: مقاييس اللغة – ابن فارس – مادة (ل غ و) – ج: 5 – ص: 256.

وورد في لسان العرب أن: " **لغا**: اللَّغْو واللَّغا: السَّقَط وَمَا لَا يُعتدّ بِهِ مِنْ كَلَامٍ وَغَيْرِهِ وَلَا يُحصَل مِنْهُ عَلَى فَائِدَةٍ ولا نَفْعٍ. التَّهْذِيبُ: اللَّغْو واللَّغا واللَّغْوَى مَا كَانَ مِنَ الْكَلَامِ غَيْرَ مَعْقُودٍ عَلَيْهِ... **واللُّغَة**: اللِّسْنُ، وحَدُّها أَنها أَصوات يُعبِّر بها كل قَوْمٍ عَنْ أَغراضِهم، وَهِيَ فُعْلةٌ مِنْ لَغَوْت أَي تكلَّمت "[1].

مما سبق يمكن القول أن مادة **اللغة** تدور حول: ما يلهج به لسان القوم للتعبير عن أغراضهم ومقاصدهم.

تعريف اللغة اصطلاحا.

تنوعت عبارات المعرفين لمصطلح اللغة ومن أهمها ما يأتي:

- **تعريفها عند القدامى.**

أ: تعريف ابن جنّي:" أما حدها: فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "[2].

وهذا التعريف يؤكد على: [3]

-اللغة ظاهرة من الظواهر الصوتية.

-اللغة لها وظيفة اجتماعية، لكونها أداة للتواصل والاتصال بين أفراد المجتمع، ووسيلة لتعبيرهم عن حاجاتهم وأغراضهم.

-اختلاف اللغة باختلاف المجتمع.

ب: تعريف الجرجاني:" اللغة: هي ما يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "[4].

- **تعريفها عند المحدثين.**

عرفها فريحة أنيس بقوله:" ظاهرة سيكولوجية، واجتماعية، وثقافية، ومكتسبة، لا صفة بيولوجية، ملازمة للفرد، وتتألف من مجموعة رموز صوتية لغوية، واكتسبت عن

---

[1]: لسان العرب – ابن منظور – مادة (ل غ ا) – ج: 15 – ص: 250 وما بعدها.

[2]: الخصائص – ابن جنّي – ص: 34.

[3]: اللغة العربية: نشأتها ومكانتها في الإسلام وأسباب بقائها – نور الله كورت وميران أحمد أبو الهجاء – 2015م – العدد:6 – ص: 132.

[4]:التعريفات – الجرجاني – ص: 192.

طريق الاختبار معاني مقررة من الذهن، وبهذا النظام الرمزي الصوتي تستطيع جماعة ما أن تتفاهم، وتتفاعل" [1].

بالنظر إلى ما سبق من تعريفات يمكن إيجاز القول أن اللغة أداة تواصل بين الإنسان وبني جنسه للتعبير عن أغراضهم.

العلاقة بين اللغة واللهجة.

العلاقة بين اللغة واللهجة هي علاقة العام بالخاص، ويصح أن نقول علاقة الجزء بالكل، فاللهجة هي جزء من اللغة، فلا يصح أن نقول لغة قريش أو لغة تميم أو لغة هذيل أو لغة طيء، بل إن هذه لهجات تنتمي إلى لغة واحدة هي اللغة العربية، وإن اختلافها على المستوى الصوتي أحيانا أو على مستوى الصرف والنحو والدلالة أحيانا أخرى هو ما جعل منها لهجات. [2]

ويوضح هذه العلاقة الدكتور رمضان تواب كذلك قائلا:" أمّا العلاقة بين اللّهجة واللّغة، فهي علاقة العامّ بالخاص؛ لأنّ بيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل، تضمّ عدّة لهجات، لكلّ منها خصائصها، ولكنّها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللّغويّة، الّتي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث، فهما يتوقف على قدر الرابطة الّتي تربط بين هذه اللّغات، وتلك البيئة الشاملة، الّتي تتألّف من عدّة لهجات، هي الّتي اصطلح على تسميتها باللّغة، فاللّغة تشتمل عادة على عدّة

---

[1]:نظريات في اللغة – فريحة أنيس – بيروت – ط.2 – 1981م - ص: 41.

[2]:اللهجة التي نزل بها القرآن – عبد المطلب آربا – مجلة الأكاديمية (تركيا) ekev– العدد: 21 – 2017م - ص: 08.

لهجات، لكلّ منها ما يميّزها، وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية، والعادات الكلامية، الّتي تؤلّف لغة مستقلة عن غيرها من اللّغات " [1].

ويضيف قائلا:" ... ومن هذا يتبين لنا أنّ كلّ لغة كانت يوما ما لهجة من لهجات كثيرة للغة من اللغات، ثمّ حدثت عوامل كثيرة أدّت إلى موت اللّغة الأم أو اندثارها، وانتشار كلّ بنت من بناتها في بقعة من الأرض، مكونة لغة لها خصائصها ومميّزاتها الّتي تنفرد بها عن أخواتها " [2].

ثانيا: عوامل نشوء اللهجات.

يرجع علماء اللغة المحدثون نشوء اللهجات إلى عاملين رئيسين هما: [3]

أ: **الانعزال بين بيئات الشعب الواحد:** فحين نتصوّر لغة من اللّغات قد اتّسعت رقعتها وفصل بين أجزاء أراضيها عوامل جغرافية أو اجتماعية، نستطيع الحكم على إمكان تشعّب هذه اللّغة الواحدة إلى لهجات عدّة، ويترتب على هذا الانفصال قلّة احتكاك أبناء الشعب الواحد بعضهم ببعض؛ أو انعزالهم بعضهم عن بعض، ويتبع هذا أن تتكون مجاميع صغيرة من البيئات اللغوية المنعزلة.

ب: **الصراع اللّغوي نتيجة غزو أو هجرات:** فقد يغزو شعب من الشعوب أرضا يتكلّم أهلها لغة أخرى، فيقوم صراع عنيف بين اللّغتين الغازية والمغزوة، وتكون النتيجة عادة إمّا القضاء على إحدى اللّغتين قضاء يكاد يكون تامّا، أو أن ينشأ من هذا الصراع لغة مشتقة من كلتا اللّغتين الغازية والمغزوَّة، تشتمل على عناصر من هذه وأخرى من تلك.

أهم الشواهد المشهورة لاعتبار تباين اللهجات العربية:

---

[1]:فصول في فقه اللغة – رمضان عبد التواب – القاهرة – ط.6 – 1999م - ص: 72.

[2]:المرجع نفسه - ص: 73.

[3]: في اللّهجات العربيّة - إبراهيم أنيس – ص:20.

ذكر الدكتور محمد محمد داود أمثلة تعد شواهد بالاعتبار تدل على مدى تباين لهجات القبائل العربية، يمكن توضيحها كالآتي: [1]

1: اختلاف هيئة النّطق للكلمة الواحدة: وأوضح مثال لذلك هو ظاهرة الإمالة، وأشهر أمثلتها: (الضحى) (سجى) (قلى) (دعا) بإمالة الفتحة الأخيرة إلى كسرة، والألف الّتي بعدها إلى ياء.

2: اختلاف معاني الكلمات: روي أنّ أبا هريرة لَمَّا قدم من دوس عام خيبر لقى النّبيّ صلى الله عليه وسلم وقد وقعت من يده السكين، فقال:" **(ناولني السكين)**، فالتفت يمنة ويسرة و لم يفهم مراده، فكرّر له القول وأشار إليها، فقال: "آلمدية تريد؟"، فقال: (نعم)، قال: أوَ تُسمّى عندكم سكينا؟ ثمّ قال: "والله لم أكن سمعتها إلّا يومئذ" [2]

فهذا شاهد على تعدّد الدوالّ والمدلول الواحد، فجاء القرآن الكريم يصطفي من لغة العرب ولهجاتها أفضلها، ليقدّم للعرب لغة واحدة فصيحة ولهجة عذبة، ولا يستعصي على أحد فهمها.

3: اختلاف تركيب الكلمات: تحفل كتب اللّغة على تعدّد أشكال الصياغة التركيبية للكلمات فمثلا هناك:

(عجعجة قضاعة):حيث كانت تقلب الياء جيما إذا كانت ياء مشدّدة أو جاءت بعد العين.

(شنشنة اليمن): يجعلون الكاف شينا مطلقا؛ فبدلا من أن يقول الرّجل: لبّيك، يقول: لبّيش.

(عنعنة تميم وقيس): يجعلون الهمزة المبدوء بها عينا يقولون: عِذَن أكرمك، بدلا من : إذن أكرمك.

---

[1]: العربية وعلم اللغة الحديث – محمد محمد داود – القاهرة – دار غريب للطباعة والنشر– د.ط – 2001م – ص:35.

[2]: مسند الإمام أحمد بن حنبل – ت: شعيب الأرناؤوط – مؤسسة الرسالة – د.ط – د.ت – ص:71.

(**فحفحة هذيل**): يقولون: علت العياة لكلّ عيّ، يريدون: حِلت الحياة لكلّ حيّ، وبلهجتهم قرأ ابن مسعود: (**عتّى حين**)، فأرسل إليه سيدنا عمر رضي الله عنه: إنّ القرآن لم يترل بلغة هذيل، فأقرئ النّاس بلغة قريش.

(**طمطمانية**) حمير: حيث كانت تنطق "أم" بدلا من "أل" للتعريف في صدر الكلمة، ومن ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**ليس من أمبر أمصيام في أمسفر**)، والمراد: (**ليسَ مِنَ البِرِّ الصَّوْمُ في السَّفَرِ**) [1].

ثالثا: أمثلة عن لهجات العرب في القرآن الكريم.

إن لسان العرب أوسع ألسنة الأمم قاطبة؛ والقرآن الكريم نزل بلسانهم خاصة، بيد أنه قد يوافق بعض ألفاظ اللغات الأخرى لغة العرب، ومع ذلك يبقى الأصل والجنس عربيا لا يشوبه شيء.

ولم يترل القرآن الكريم بلسان قبيلة واحدة نزولا محضا – وإن كان غالبه قد نزل بلسان قريش- بل نزلت ألفاظ قرآنية توافق لهجات قبائل عربية أخرى يمكن بيان أشهرها كالآتي:

ذكر السيوطي في كتابه الإتقان أن:" أبا بكر الواسطي أورد في كتابه: الإرشاد في القراءات العشر: في القرآن من اللغات خمسون لغة: لغة قريش وهذيل وكنانة وخثعم والخزرج وأشعر ونمير وقيس وعيلان وجرهم واليمن وأزد شنوءة وكندة وتميم وحمير ومدين ولخم وسعد العشيرة وحضرموت وسدوس والعمالقة وأنمار وغسان ومذحج وخزاعة وغطفان وسبأ وعمان وبنو حنيفة وثعلبة وطيئ وعامر بن صعصعة وأوس ومزينة وثقيف وجذام وبلي وعذرة وهوازن والنمر واليمامة"[2].

وسأتناول نماذج لبيان بعض مما سبق.

---

[1]: صحيح البخاري - باب قول النبي صلى الله عليه و سلم لمن ظلل عليه واشتد الحر - ج:2 – ص:686.

[2]: الإتقان في علوم القرآن – جلال الدين السيوطي – ت: محمد أبو الفضل ابراهيم – السعودية – وزارة الأوقاف – د.ط – د.ت - ج:2 - ص:122.

أولا: نماذج ذكرها السيوطي في كتابه الإتقان توضح ورود ألفاظ للهجات قبائل عربية مختلفة في القرآن الكريم. [1]

(الرِّجْزُ)	الْعَذَابُ، بِلُغَةِ بَلِيٍّ.
(طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ)	نخسة بلغة ثقيف.
(بِالأَحْقَافِ)	الرِّمَالِ، بِلُغَةِ ثَعْلَبَةَ.
(وَرَيْحَانٌ)	الرزق بِلُغَةِ هَمَذَانَ
(خَتَّارٍ)	الْغَدَّارُ بلغة نصر بن معاوية

ثانيا: نماذج من سورة البقرة ذكرها اسماعيل بن عمرو في كتابه: اللغات في القرآن. [2]

(أَنُؤمِنُ كَما آمَنَ السُفَهاءُ)	السفيه الجاهل بلغة كنانة.
(رَغَداً)	الخصب بلغة طيء.
(فَأَخَذَتكُم الصاعِقَةُ)	الموتُ بلغة عُمان.
(فَباءوا بِغَضَبٍ)	استوجبوا بلغة جُرهم.
(ما اِشتَروا)	باعوا بلغة هُذيل.

---

[1]: يُنظر: المرجع نفسه – ج:2 – ص: وما بعدها 122.

[2]: يُنظر: اللغات في القرآن – اسماعيل بن عمرو – ص:20.

(**فَلا رَفَثَ**)	يعني فلا جماع بلغة مذحج.
(**ثُمَّ أَفيضوا**)	انفروا بلغة خزاعة وعامر بن صعصة.
(**فَلا تَعضُلوهُنّ**)	تحبسوا بلغة أزد شنوءة.

عنوان المحاضرة:

مخالفة ظاهر اللفظ معناه.

إن سنة التمايز والتفاضل سنة جارية، واللغة العربية أفضلُ اللغات وأوسعُها، لما تحويه من خصائص وميزات، وظواهر لغوية تفتقرها بقية اللغات .

قال ابن فارس: " لغةُ العرب أفضلُ اللغات وأوسعُها؛ قال تعالى :(**وإنه لتنزيلُ ربِّ العالمين نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتكُونَ مِنَ الْمُنْذِرين بِلِسَانٍ عربي مُبِينٍ**) فوصفه سبحانه بأبلغ ما يُوصَف به الكلامُ وهو البيان، وقال تعالى: (**خَلَق الإنسانَ عَلّمَهُ الْبَيَانَ**) فقدّم سبحانه ذِكْرَ البيان على جميع ما توحّد بخَلْقه وتفرّد بإنشائه من شمسٍ وقمر ونجْم وشجر وغير ذلك من الخلائق المُحْكَمَة والنشايا المتقنة فلما خصّ سبحانه اللسانَ العربي بالبيان **عُلم أن سائرَ اللغات قاصرةٌ عنه وواقعة دونه** "[1].

ومن هذه الظواهر التي تميزت بها لغة القرآن الكريم **مخالفة ظاهر اللفظ معناه** أي خروج الكلام على خلاف الظاهر.

أي من النصوص ما يحتاج إلى اعتماد الأدلة والقرائن غير النقلية التي هي من خارج النص لبلوغ مراد المنشئ والكشف عن رسالته الإبلاغية إذ يلجأ الباحث أو الدارس إلى العقل أو المنطق أو القيم الاجتماعية لتوجيه معنى النص وحل المعاني المشكلة وإزالة غموضه، أو ما يتبادر إلى الذهن من سوء فهم بسبب من تمكن المنشئ من ناصية الفصاحة والبيان وابتعاده بالألفاظ عن معانيها الحسية والاتجاه بها إلى المعاني المجازية لقرائن لغوية تبيح له ذلك. [2]

وقد عقد السيوطي فصلا في جملة من سنن العرب التي لا توجد في غير لغتهم قائلا : " قال ابنُ فارس: **فمن سنن العرب مخالفة ظاهر اللفظ معناه** كقولهم عند المدح: قاتله الله

---

[1]: المزهر في علوم اللغة – جلال الدين السيوطي - ج: 1 – ص: 254.

[2]: النص اللغوي بين السبب والمسبب – نهاد فليح حسن العاني – دار الكتب العلمية – 2007م – ص: 70.

ما أشعره فهم يقولون هذا ولا يُريدون وقوعَه؛ وكذا هَوَت أمه و هبلته وثكِلَتْه وهذا يكون عند التعجب من إصابة الرَّجل في رَمْيه أو في فعل يفعله"[1].

وهذه بعض المواضع التي خالف فيها ظاهر اللفظ معناه كما أشار إلى ذلك ابن قتيبة في كتابه مشكل القرآن.[2].

01: الدعاء على جهة الذم لا يراد به الوقوع.

كقول الله عز وجل: (**قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ**) [الذاريات: 10] ، و(**قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ**) [عبس: 17]، (**وقاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**) [التوبة: 30] وأشباه ذلك.

ومنه: قول رسول الله صلّى الله عليه وسلم، للمرأة: «**عقرى حلقى**» ، أي عقرها الله، وأصابها بوجع في حلقها.

وقد يراد بهذا أيضا التعجب من إصابة الرجل في منطقه، أو في شعره، أو رميه، فيقال: قاتله الله ما أحسن ما قال، وأخزاه الله ما أشعره، ولله درّه ما أحسن ما احتج به.

02: الجزاء عن الفعل بمثل لفظه والمعنيان مختلفان.

نحو قول الله تعالى:(**إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ**) [البقرة: 14، 15] ، أي يجازيهم جزاء الاستهزاء.

وكذلك: (**وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ**) [آل عمران: 54] ، (**وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها**) [الشورى: 40] ، هي من المبتدئ سيئة، ومن الله عز و جل جزاء.

وقوله تعالى: (**فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ**) [البقرة: 194] :

فالعدوان الأول: ظلم، والثاني: جزاء، والجزاء لا يكون ظلما، وإن كان لفظه كلفظ الأول؛ وكذلك قوله: (**نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ**) [التوبة: 67].

---

[1]: المزهر في علوم اللغة – جلال الدين السيوطي - ج: 1 – ص: 261.

[2]: تأويل مشكل القرآن – ابن قتيبة - ص: 170 وما بعدها.

03: أن يأتي الكلام على مذهب الاستفهام وهو تقرير.

كقوله سبحانه:(وَما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسى) [طه: 17]؛ و(ماذا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ) [القصص: 65] ، (قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ مِنَ الرَّحْمنِ) [الأنبياء: 42] .

04: أن يأتي الكلام على مذهب الاستفهام وهو تعجب:

كقوله تعالى: (عَمَّ يَتَساءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ) [النبأ: 1، 2]، كأنه قال: عمّ يتساءلون يا محمد؟ ثم قال: عن النبأ العظيم يتساءلون.

05: أن يأتي الكلام على مذهب الاستفهام وهو توبيخ.

كقوله: (أَتَأْتُونَ الذُّكْرانَ مِنَ الْعالَمِينَ) [الشعراء: 165] .

06: أن يأتي الكلام على لفظ الأمر وهو تهديد:

كقوله:(اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ)[فصلت: 40] .

07: أن يأتي الكلام على لفظ الأمر وهو تأديب:

كقوله: (وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ)[الطلاق: 2]، (وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ) [النساء: 34].

08: أن يأتي الكلام على لفظ الأمر وهو إباحة:

كقوله: (فَكاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً)[النور: 33]،(فَإِذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ) [الجمعة: 10] .

09: أن يأتي الكلام على لفظ الأمر وهو فرض:

كقوله: (وَاتَّقُوا اللَّهَ) [البقرة: 282] ، (وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ)[الأنعام: 72] ، (وَ آتُوا الزَّكاةَ)[البقرة: 43].

10: عام يراد به خاص.

كقوله سبحانه حكاية عن النبي، صلّى الله عليه وسلم: (وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) [الأنعام: 163] ، وحكاية عن موسى:(وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) [الأعراف: 143] و لم يرد

كل المسلمين والمؤمنين، لأن الأنبياء قبلهما كانوا مؤمنين ومسلمين، وإنما أراد مؤمني زمانه ومسلميه.

11: جمع يراد به واحد واثنان.

كقوله: ﴿**وَلْيَشْهَدْ عَذابَهُما طائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[النور: 2]: واحد واثنان فما فوق.

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿**إِنْ نَعْفُ عَنْ طائِفَةٍ**﴾ [التوبة: 66]: كان رجل من القوم لا يمالئهم على أقاويلهم في النبي صلّى الله عليه وسلم، ويسير مجانبا لهم، **فسماه الله طائفة وهو واحد.**

12: ومنه واحد يراد به جميع.

كقوله: ﴿**هؤُلاءِ ضَيْفِي فَلا تَفْضَحُونِ** ﴾[الحجر: 68]، وقوله: ﴿**إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِينَ**﴾

[الشعراء: 16]، وقوله:﴿ **نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا** ﴾[الحج: 5] .

وقوله: ﴿**لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ**﴾ [البقرة: 285] والتفريق لا يكون إلا بين اثنين فصاعدا، وقوله: ﴿**فَما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزِينَ**﴾ [الحاقة: 47]، والعرب تقول: فلان كثير الدرهم والدينار، يريدون الدراهم والدنانير.

وقال الله عز وجل: ﴿**هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قاتَلَهُمُ اللَّهُ**﴾ [المنافقون: 4]، أي الأعداء، ﴿**وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً** ﴾[النساء: 69]، أي رفقاء.

13: أن تصف الجميع صفة الواحد:

نحو قوله: ﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا** ﴾[المائدة: 6]، وقوله:﴿ **وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ**﴾ [التحريم: 4] .

وتقول: قوم عدل.

14: أن يوصف الواحد بالجمع.

نحو قولهم: برمة أعشار، وثوب أهدام وأسمال، ونعل أسماط، أي غير مطبقة.

15: أن يجتمع شيئان ولأحدهما فعل فيجعل الفعل لهما.

كقوله سبحانه:(**فَلَمَّا بَلَغا مَجْمَعَ بَيْنِهِما نَسِيا حُوتَهُما**) [الكهف: 61]؛ روي في التفسير: أن النّاسي كان يوشع بن نون ويدلّك قوله لموسى، صلّى الله عليه وسلم: (**فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ**)[الكهف: 63].

وقوله:(**يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ**)[الأنعام: 130] والرسل من الإنس دون الجن.

16: أن يجتمع شيئان فيجعل الفعل لأحدهما، أو تنسبه إلى أحدهما وهو لهما.

كقوله: (**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّها لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخاشِعِينَ**) [البقرة: 45]، وقال: (**عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ**) [ق: 17] أراد: عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد.

17: أن تخاطب الشاهد بشيء ثم تجعل الخطاب له على لفظ الغائب.

كقوله عز وجل: (**حَتَّى إِذا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِها**) [يونس: 22]، وقوله:(**وَما آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَا فِي أَمْوالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَما آتَيْتُمْ مِنْ زَكاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ**) [الروم: 39]

18: ومنه أن يخاطب الرجل بشيء ثم يجعل الخطاب لغيره.

كقوله:(**فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ**)[هود: 14]، الخطاب للنبي صلّى الله عليه وسلم، ثم قال للكفار(**فَاعْلَمُوا أَنَّما أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ**)[هود: 14] يدلك على ذلك قوله: (**فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**) [هود: 14].

19: ومنه أن تأمر الواحد والاثنين والثلاثة فما فوق أمرك الاثنين: فتقول: افعلا.

قال الله تعالى: (**أَلْقِيا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ**) [ق: 24]، والخطاب لخزنة جهنم، أو زبانيتها؛ قال الفراء: والعرب تقول: ويلك ارحلاها وازجراها.

قال الفراء: ونرى أصل ذلك أنّ الرّفقة أدنى ما تكون: ثلاثة نفر، فجرى كلام الواحد على صاحبيه، ألا ترى أنّ الشعراء أكثر شيء قيلا: يا صاحبيّ، ويا خليليّ.

20: أن يخاطب الواحد بلفظ الجميع.

كقوله سبحانه:(**قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ**) [المؤمنون: 99] ، وأكثر من يخاطب بهذا الملوك، لأنّ من مذاهبهم أن يقولوا: نحن فعلنا، بقوله الواحد منهم يعني نفسه، فخوطبوا بمثل ألفاظهم. يقول الله عز وجل: (**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ**). [يوسف: 3]، (**وإِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ**) [القمر: 49].

21: أن يتصل الكلام بما قبله حتى يكون كأنه قول واحد وهو قولان.

نحو قوله: (**إِنَّ الْمُلُوكَ إِذا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوها وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِها أَذِلَّةً، ثم قال: وَكَذلِكَ يَفْعَلُونَ**)[النمل: 34]، وليس هذا من قولها، وانقطع الكلام عند قوله: أَذِلَّةً، ثم قال الله تعالى: (**وَكَذلِكَ يَفْعَلُونَ**).

22: أن يأتي الفعل على بنية الماضي وهو دائم، أو مستقبل.

كقوله: (**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**) [آل عمران: 110]، أي أنتم خير أمّة.

وقوله:(**أَتى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ**) [النحل: 1]، يريد يوم القيامة، أي سيأتي قريبا فلا تستعجلوه؛ وقوله:(قالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا)[مريم: 29]، أي من هو صبيّ في المهد؛ وكذلك قوله:(**وَكانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً**) [النساء: 134]، وكذلك قوله: (**وَكانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً**)[الأحزاب: 27]، إنما هو: الله سميع بصير، والله على كل شيء قدير.

23: ومنه أن يجيء المفعول به على لفظ الفاعل.

كقوله سبحانه: (**لا عاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ**)[هود: 43] ، أي لا معصوم من أمره؛ وقوله: (**خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ**) [الطارق: 6] ، أي مدفوق.

24: أن يأتي فعيل بمعنى مفعل.

نحو قوله: (**بَدِيعُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ**) [البقرة: 117]، أي مبدعها.

وكذلك: (**عَذابٌ أَلِيمٌ**)[البقرة: 10]، أي مؤلم.

25: وفعيل يراد به فاعل.

نحو: حفيظ، وقدير، وسميع، وبصير، وعليم، ومجيد.

26: أن يأتي الفاعل على لفظ المفعول به، وهو قليل.

كقوله:(**إِنَّهُ كانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا**)[مريم: 61]، أي آتيا.

عنوان المحاضرة الأخيرة:
ظاهرة التضمين والتناوب في القرآن الكريم

أولا: تعريف التضمين لغة واصطلاحا.

تعريف التضمين لغة.

جاء في معجم مقاييس اللغة أن: " (ضَمَنَ) الضَّادُ وَالْمِيمُ وَالنُّونُ أَصْلٌ صَحِيحٌ، وَهُوَ جَعْلُ الشَّيْءِ فِي شَيْءٍ يَحْوِيهِ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: ضَمَّنْتُ [الشَّيْءَ] ، إِذَا جَعَلْتَهُ فِي وِعَائِهِ. وَالْكَفَالَةُ تُسَمَّى ضَمَانًا مِنْ هَذَا لِأَنَّهُ إِذَا ضَمِنَهُ فَقَدِ اسْتَوْعَبَ ذِمَّتَهُ؛ وَالْمَضَامِينُ: مَا فِي بُطُونِ الْحَوَامِلِ "[1].

وورد في لسان العرب أن: " ضمن: الضَّمِينُ: الْكَفِيلُ. ضَمِنَ الشيءَ وَبِهِ ضَمْناً وضَمَاناً: كَفَل بِهِ. وضَمَّنَه إياه... وَيُقَالُ: ضَمِنَ الشيءَ بِمَعْنَى تَضَمَّنَه؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: مَضْمُونُ الْكِتَابِ كَذَا وَكَذَا... وضَمَّنَ الشيءَ الشيءَ: أَوْدَعه إِياه كَمَا تُودِعُ الوعاءَ المتاعَ والميتَ القبرَ "[2].

بالنظر إلى هذه المعاني اللغوية يمكن القول أن مادة ضمن تدل على الإيداع والاستيعاب.

تعريف التضمين اصطلاحا.

عرفه الزركشي بقوله:" هو إعطاء الشيء معنى الشيء وتارة يكون في الأسماء وفي الأفعال وفي الحروف؛ فأما في الأسماء فهو أن تضمن اسما معنى اسم لإفادة معنى الاسمين جميعا كقوله تعالى: (**حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق**) ضمن حقيق معنى حريص ليفيد أنه محقوق بقول الحق وحريص عليه.

---

[1]: مقاييس اللغة – ابن فارس – مادة (ض م ن) – ج: 3 – ص: 372.

[2]: لسان العرب – ابن منظور – مادة (ض م ن) – ج: 13 – ص: 257.

وأما الأفعال فأن تضمن فعلا معنى فعل آخر، ويكون فيه معنى الفعلين جميعا وذلك بأن يكون الفعل يتعدى بحرف فيأتي متعديا بحرف آخر ليس من عادته التعدي به فيحتاج إما إلى تأويله أو تأويل الفعل ليصح تعديه به "[1].

ومن أمثلته أن يقول أحدهم : جلست على فراشي، وأملت جسمي إلى متكئي؛ فيختصر الكلام ويقول: جلست إلى متكئي؛ ومثل هذا الإيجاز القائم على الحذف والإيصال، أسلوب ينتهجه بلغاء العرب، وتقدير الكلام : جلست مائلا إلى متكئي.[2]

وخلاصة القول أن التضمين أسلوب لغوي يفيد التوسع في المعنى، ويكون في الأسماء وفي الأفعال وفي الحروف.

ثانيا: تعريف التناوب لغة واصطلاحا.

1: تعريف التناوب لغة.

جاء في معجم مقاييس اللغة أن: " (**نَوَبَ**) النُّونُ وَالْوَاوُ وَالْبَاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تَدُلُّ عَلَى اعْتِيَادِ مَكَانٍ وَرُجُوعٍ إِلَيْهِ. وَنَابَ يَنُوبُ، وَانْتَابَ يَنْتَابُ. وَيُقَالُ إِنَّ النُّوَبَ: النَّحْلُ، قَالُوا: وَسُمِّيَتْ بِهِ لِرَعْيِهَا وَنَوْبِهَا إِلَى مَكَانِهَا. وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ جَمْعُ نَائِبٍ "[3].

وورد في لسان العرب أن: " **نوب**: نابَ الأَمْرُ نَوْباً ونَوبةً: نزلَ. ونابَتْهم نَوائبُ الدَّهْر... و**نابَ** عَنِّي فلانٌ يَنُوبُ نَوْباً ومَناباً أَي قَامَ مَقَامِي؛ ونابَ عَني فِي هَذَا الأَمْرِ نِيَابَةً إِذا قَامَ مقامَك... **ونُبْتُه نَوْباً** وانْتَبْتُه: أَتيتُه عَلَى نَوْب. **وانْتابَ** الرجلُ القومَ انْتياباً إِذا قصَدَهم، وأَتاهم مَرَّةً بَعْدَ مَرَّة... **والنُّوبُ**: النَّحْلُ، وَهُوَ جمعُ نائبٍ، مِثْلُ عائطٍ وعُوطٍ، وفارهٍ وفُرْه، لأَنها تَرْعى وتَنُوبُ إِلى مَكَانِهَا "[4].

بالنظر إلى هذه المعاني اللغوية يمكن القول أن مادة (**نَوَبَ**) تدل على احلال شيء مكان شيء.

---

[1]: البرهان في علوم القرآن – الزركشي –ج: 3 – ص: 338.

[2]: ينظر: التضمين والاستعمال البياني في القرآن – ستار فليح حسن جاسم العبيدي – مجلة كلية الشريعة – العدد: 06 - ص: 269.

[3]: مقاييس اللغة – ابن فارس – مادة (ن و ب) – ج: 5 – ص: 397.

[4]: لسان العرب – ابن منظور – مادة (ض م ن) – ج: 13 – ص: 257.

2: تعريف التناوب اصطلاحا.

تبادل الأحكام اللغوية كأن تأخذ صيغة صرفية الأحكام النحوية والدلالية لصيغة أخرى، وتتناوب معها معنى ومبنىً.[1].

والتعريف الذي سنركز عليه هو تعريف متعلق بمعاني الحروف لتشعب مصطلح النيابة في النحو، وكذا لاختلاف العلماء قديما وحديثا حول هذا الباب – محل الدراسة – بصفة خاصة.

فيعرف عند النحاة ب: "وقوع حرف الجر موقع بعضها للدلالة على المعنى، فالتناوب أن يأتي حرف بمعنى حرف آخر) كما في قوله تعالى :﴿ **وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ** ﴾ (طه:71)، يقول المفسرون وأهل اللغة إن الأداة (في) في هذه الآية جاءت بمعنى (على)"[2].

ثالثا: أقسام التضمين.

أ: تضمين الفعل.

يقول ابن جني في الخصائص:" اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر وكان أحدهما يتعدى بحرف والآخر بآخر فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذانا بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه وذلك كقول الله عز اسمه (**أحِلّ لكم ليلة الصيام الرفثُ إلى نسائكم**) وأنت لا تقول رفثت إلى المرأة وإنما تقول : رفثت بها أو معها لكنه لما كان الرفث هنا في معنى الإفضاء وكنت تعدى أفضيت ب (إلى) كقولك : أفضيت إلى المرأة جئت ب (إلى) مع الرفث إيذانا وإشعارا أنه بمعناه كما صححوا عور وحول لما كانا في معنى اعورَّ واحولَّ "[3].

أمثلة:

---

[1]: ظاهرة التناوب اللغوي بين المشتقات الدالة على الفاعلية والمفعولية والمصدر – مالك يحي – مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها – العدد: 22 – 2010م – ص: 122.

[2]: ينظر: التناوب والتضمين عند النحويين والتفسيريين بين أدوات الجر – خديجة المومني – مركز نماء للبحوث والدراسات – ص: 09، وتناوب حروف الجر في ديوان امرؤ القيس – عبد الرحمان الذنيبات ونضال محمود الغرابة– 2011م – ص: 37.

[3]: الخصائص – ابن جني– ج: 02 – ص: 308.

1: قال تعالى:(**وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا**).(الأنبياء – الآية:77).

فأصل (نصر) أن تتعدى ب:(على)، فتقول: ونصرناه على؛ غير أنه لما تضمن ههنا معنى جنبناه ومنعناه وكلاهما يتعدى بحرف الجر (من) أجرينا(نصر) بمعنى جنَّب ومنع.[1]

2: أن يتضمن الفعل اللازم معنى الفعل المتعدي.

قال تعالى:(**وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ**).(يوسف – الآية:100).

هنا تضمن فعل (أحسن) معنى(لطف)؛ والفعل (أحسن) تعدى بحرف يتعدى به فعل آخر، لكنه لما تضمن هنا معنى (لطف) تعدى بالحرف الذي يتعدى به هذا الفعل، وهو حرف الجر " الباء" فجاء في قوله عز وجل: :(**وَقَدْ أَحْسَنَ بِي**).[2]

3: ذكر السيوطي أن عشرة أفعال تتضمن معنى (صار) منها: عاد، آل، رجع، استحال، تحول، ارتد، قعد؛ وترد الأفعال: كان، أصبح، أضحى، أمسى، ظل بمعنى (صار) كما ورد في قوله تعالى: (**وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا**).(الواقعة – الآية:5)؛ والآية: (فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا).(الواقعة – الآية:5).إذ الفعلان أصبح وكان تضمنا معنى الفعل صار.[3]

ب: تضمين الاسم.

1: أن يتضمن اسم معنى اسم آخر.

مثاله: قوله تعالى: (حَقِيقٌ عَلَيَّ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ).(الأعراف – الآية:105)

تضمن لفظ (حقيق) إلى حريص بالمعنى الأقل، وواجب علي بالأكثر.[4]

2: أن تورد فعلا ظاهرا دالا على معناه الوضعي وعلى معنى آخر للفظ محذوف كالحال المقدرة.

مثاله: قوله تعالى: (**وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**).(البقرة – الآية:185) .

---

[1]: في التضمين اللغوي – سعيد شنوقة- مجلة التواصل – العدد: 10 – 2003م - ص: 13.

[2]: في التضمين اللغوي – سعيد شنوقة- ص: 13.

[3]: ينظر: همع الهوامع – السيوطي – ت: عبد العالي سالم مكرم – دار البحوث العلمية – الكويت – 1979م - ج: 04 – ص: 71وينظر: التضمين النحوي: أشكاله ودلالاته – سليمان بوراس- ج: 02 – ص: 55.

[4]: في التضمين اللغوي – سعيد شنوقة – ص: 13.

قال الزمخشري:" وإنما عدى فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه مضمنا معنى الحمد، كانه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم" [1].

فالفعل (تكبروا) لا يتعدى بحرف الجر "على" لكن لما تضمن معنى الحمد، جيء معه بهذا الحرف؛ فاللفظ الظاهر هو:(تكبروا)، إلا أنه مع ذلك تضمن معنى اسم هو الحمد فكأنه قيل: ولتكبروا الله حامدين؛ ونحن نفهم من هذا أن حامدين اسم فاعل بابه الإعرابي هو حال منصوبة. [2]

3: يأتي التضمين في الأسماء كذلك بذكر الفعل الدال على معناه الذي وضع له، وكذلك على معنى المحذوف الذي يقر حالا في الغالب.

مثاله: قوله تعالى: (**وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ**).(البقرة – الآية:04) .

قال أبو حيان الأندلسي:" الإيمان: التصديق، (وما أنت بمؤمن لنا)، وأصله من الأمن أو الأمانة، ومعناهما الطمأنينة، منه: صدقه، وأمن به: وثق به...وضمن معنى الاعتراف أو الوثوق فعدي بالباء". [3]

ج: تضمين الحروف.

قبل الحديث عن ذلك يحسن أن نبين موقف العلماء من قضيتي التضمين والنيابة في الحروف.

أولا: رأي المذهب البصري.

يرى معظم البصريين أن أدوات الجر لا تتناوب، وأنه ليس لأداة الجر إلا معنى واحدا حقيقيا، فالأداة (في) مثلا تؤدي معنى الظرفية، و(على) معنى الاستعلاء،(من) معنـــــى الابتداء، و(إلى) لانتهاء، وأن الفعل هو الذي ينبغي أن يضمن معنى يناسب أداة الجر الذي تعدى به، والأداة تبقى على معناها الأصلي أو بتأويل يقبله اللفظ فيكون بمثابة الرابط بين

---

[1]: الكشاف – الزمخشري- ج: 01 – ص: 254.

[2]: في التضمين اللغوي – سعيد شنوقة- ص: 09.

[3]: البحر المحيط – أبو حيان الأندلسي- ج:01 - ص: 65.

الفعل والأداة، وفي الحالتين تكون الأداة مؤشراً ودليلا على وجود معنى آخر خفي مضمن في اللفظ المذكور له دلالته.[1]

ثانيا: رأي المذهب الكوفي.

ذهب معظم الكوفيين إلى جواز وقوع أدوات الجر بعضها موقع بعض؛ لأنهم يرون التوسع في معاني أدوات الجر بحيث لا يقتصر الحرف على معنى واحد بل له أكثر من معنى يؤديه تأدية حقيقة لا مجازية.[2]

أمثلة عن حروف الجر في التضمين.

يؤدي الحرف الواحد معان وظيفية متعددة، تبرُز من خلال علاقات السياق القائمة بين الحرف وغيره من مكونات السياق الأخرى، فتولد من ذلك معان وظيفية مشتركة، يؤديها الحرف الواحد تحمل في طياتها أثر تنوع السياقات التي يرد فيها الحرف في إظهار الفروق الدلالية التي تترتب على استعماله في موضعه المحدد في النص.[3]

إن الذي يحدد وظيفة الحرف الدلالية طبيعة السياق الواردة فيه، وبهذا يكون لاستعمال الحرف قصد إلى معنى معين، إما أن يكون واحدا قطعيا، أو أن يكون له أكثر من معنى: معنى ظاهر ومعنى متضمن، ومن أمثلته فعل(سمع)، إذ يتعدى في القرآن الكريم بأكثر من حرف على نحو الأمثلة الآتية.[4]

فمرة يتعدى **باللام** في قوله تعالى: (**وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ**).(المنافقون – الآية:04)؛ ومرة **بمن** في قوله تعالى: (**وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا**).(آل عمران – الآية:186)؛ ويتعدى في موضع آخر **بإلى** في قوله تعالى: (**لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ**).(الصافات –

---

[1]: ينظر: التناوب والتضمين عند النحويين والتفسيريين بين أدوات الجر – خديجة المومني – مركز نماء للبحوث والدراسات – ص: 10،

[2]: ينظر: التناوب والتضمين عند النحويين والتفسيريين بين أدوات الجر – خديجة المومني – مركز نماء للبحوث والدراسات – ص: 10،

[3]: ينظر: ظاهرة النيابة في العربية – ص:295، والتضمين النحوي وتوجيهاته في القرآن الكريم – مازن عبد الرسول سلمان – ص: 20.

[4]: ينظر: ظاهرة النيابة في العربية – ص:295، والتضمين النحوي وتوجيهاته في القرآن الكريم – مازن عبد الرسول سلمان – ص: 20.

الآية:08)؛ ويتعدى في موضع آخر **بالباء** في قوله تعالى: (**فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً**).(يوسف – الآية:31)؛ وقد يتعدى بنفسه أيضا في قوله تعالى: (**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ**).(المجادلة – الآية:01)؛ فاستعمال الأحرف في كل آية منها فيه قصد إلى معنى يحدده السياق.

مثال آخر:

في قوله تعالى: (**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**).(آل عمران – الآية:123)؛ استعمال الباء فيه قصد دلالة محددة تظهرها خصوصية معركة بدر دون غيرها إذ كانت نصرا وسلاحا بحد ذاتها للمسلمين فيما سيأتي؛ فأدت الباء التي فيها معنى (الإلصاق) وهي الدلالة المقصودة الظاهرة، مع عدم إغفال معنى **الظرفية** الذي تضمنه الحرف؛ فموقع بدر هو الذي وقعت فيه المعركة.[1] وعليه فبدر كانت سببا للنصر وموقعا له.

رابعا: أهم فوائد التضمين.

أ: الإيجاز والاختصار: من فوائد التضمين تأدية معنيين بلفظ واحد مع غاية الاختصار والإيجاز؛ فهو مفتاح من مفاتيح هذه اللغة الشريفة، وسر من أسرارها؛ يفترُّ عن بديعة، ويفضي إلى لطيفة، وهو من طريف ما استودعته اللغة من نجواها، لأنه أذهب في الإيجاز والاختصار، وأجمع لخصائص الصَّنعة؛ وفيه من الإيماء والتلويح ما ليس في المكاشفة والتصريح، وذلك أحلى وأعذب.[2]

ب: التوسع في المعنى: فإن قلت: أي غرض في هذا التضمين؟ ... قلت الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين، وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ.[3]

---

[1]: ينظر: ظاهرة النيابة في العربية – ص:295، والتضمين النحوي وتوجيهاته في القرآن الكريم – مازن عبد الرسول سلمان – ص: 20.

[2]: ينظر: التضمين في النحو العربي وتطبيقاته في القرآن الكريم – آسيا غربوج – مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية – العدد: 03 – 2016م – ص: 18.

[3]: ينظر: الكشاف – الزمخشري – ج: 02 – ص: 717.

ج:**يعصم من الخطأ**: [1] من ذلك ما ذكره ابن هشام في قوله تعالى:(**لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**).(البقرة:226) قائلا:" أَي يمتنعون من وَطْء نِسَائِهِم بِالْحلف فَلهَذَا عدي بِمن، وَلما خَفِي التَّضْمِين على بَعضهم فِي الْآيَة وَرَأى أَنه لَا يُقَال حلف من كَذَا بل حلف عَلَيْهِ قَالَ من مُتَعَلقَة بِمَعْنى للَّذين كَمَا تَقول لي مِنْك مبرة قَالَ وَأما قَول الْفُقَهَاء آلى من امْرَأَته فغلط أوقعهم فِيهِ عدم فهم الْمُتَعَلّق فِي الْآيَة" [2].

---

[1]: ينظر: المرجع السابق- ص: 213.

[2]: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب – ابن هشام جمال الدين – ت: مازن المبارك – 1964م - ج: 01 – ص: 899.